التفسير العلمي للقرآن الكريم

الباحثة/ رانيا محمد كمال العباسى (*)

إشراف

أ.د. محمد عبد السلام كامل

قبل أن أتناول مدرسة الأمناء وموقفهم من الاتجاه العلمي في التفسير وجدت أنه من الضروري أن أوضح معنى التفسير العلمي ونشأته ومميزاته وعيوبه وموقف العلماء منه وانقسامهم بين مجيزون له ومانعون فإن التفسير العلمي للقرآن الكريم ظهر منذ عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا. وأول الأمر نشأ التفسير العلمي في صورة محاولات يقصد منها التوفيق بين القرآن وما جدَّ من العلوم. وبدأت الفكرة مركزة وصريحة على يد الإمام الغزالي وابن عربي والسيوطي ثم طبقت عملياً في مثل محاولات الفخر الرازي ضمن تفسيره للقرآن الكريم، وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر بين جماعة من أهل العلم وألفت تفاسير تدور حول هذه الفكرة منها مثلاً تفسير الإمام الشيخ "محمد عبده" لجزء (عم) وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا وأيضاً ما كتب الشيخ مصطفى المراغي ومحاضراته في التفسير العلمي.[1]

(*) طالبة دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها (دراسات إسلامية) – كلية البنات – جامعة عين شمس.

١) انظر فيض القدير في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، ص٢٤٥.

مميزات هذا اللون من التفسير:

للتفسير العلمي مميزاته التي تميزه عن غيره من التفاسير ومنها:

١. خلوه من الإسرائيليات والبعد عن الضلالات والأوهام.

٢. بعده عن الحشو والتطويل.

٣. خلوه من الأحاديث الموضوعة.

٤. البعد عن التوسع في العلوم اللغوية والبلاغية والفقهية وغيرها من العلوم التي تبعد المفسر عن الهدف الأساسي وهو الهداية والإصلاح إلى أهداف أخرى بعيدة عن هذا الهدف لا تتفق وحاجة الناس الشديدة إلى تفسير تكوين العناية الأولى فيه هي هداية القرآن الكريم وتدبر معانيه.[١]

عيوب التفسير العلمي:

إذا كان للتفسير العلمي مميزات فإن له عيوباً أيضاً وهي:

١. منح العقل حرية واسعة في التفكير وتدبر معاني القرآن الكريم وربما يقصد الإمام محمد عبده هنا بالحرية الواسعة التي تتعدى حدود النص لأن حرية التفكير والتدبر ليست عيباً ولكن المقصود بالحرية التي تخضع الآية القرآنية للتفسير العلمي.

٢. تفسير القرآن على ضوء العلم الحديث وذلك مثلما فعل الإمام محمد عبده في تفسيره لجزء (عم) وذلك عند تفسيره لسورة (الانشقاق) وسورة (الانفطار) حيث يقول: إن انشقاق السماء مثل انفطارها، وهو

---

٢) انظر تفسير المنار: ج١/ ص١٧.

فساد تركيبها واختلال نظامها، عندما يريد الله خراب هذا العالم الذي نحن فيه، وهو يكون بحادثة من الحوادث التي في الكون كأن يمر كوكب في سيره بالقرب من آخر فيتجاذبان فيتصادمان فيضطرب نظام الشمس بأسره، ويحدث غمام فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها.[1]

وقد علق على هذا التفسير الأستاذ الدكتور/ محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، فقال:

"هذا التفسير من الأستاذ عمل جليل يشكر عليه، غرضه من ذلك تقريب معاني القرآن، وما يخبر به من عقول الناس، بما هو معهود عندهم، ومسلم لديهم، ولكن هل لابد من فساد الكون من أن يترتب على مثل هذه الظاهرة الكونية؟ وهل يعجز الله عن إفساده وإخلاله بغير ذلك؟ أليس الأولى بنا أن نؤمن بما جاء به القرآن، ولا نخوض فيما وراء ذلك من تفصيلات كما هو مذهب الشيخ؟ أحسب أن الشيخ يضرب ذلك مثلاً، ولا يريده على أنه أمر لابد منه".[2]

٣. إنكار كثير من الحقائق الدينية المعروفة والتي نص عليها القرآن الكريم، **ومن هذه الحقائق:**

- الجن وتأثيره في الإنسان.
- السحر وتأثيره، **حيث قال الشيخ رشيد رضا صاحب تفسير المنار:**

---

١) انظر تفسير جزء (عم)، ص٤٩.
٢) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، مطبعة المدني، ج٢، ص٥٤٢.

"إن السحر ما هو إلا ضرب من التمويه والخداع وليس له حقيقة كما يقول أهل السنة".[١]

فالشيخ رشيد رضا على حد اعتقادي لا ينكر السحر، ولكن يبين أن ما يخدع السحر مما يرى أنه تغير ليس حقيقة بل هو تمويه وخداع وذلك ثابت بنص القرآن الكريم.

"سحروا أعين الناس واسترهبوهم".[٢]

ولذلك لما ألقى موسى عصاه فتحولت إلى ثعبان عظيم التقف ما صنعوه خرَّ السحرة ساجدين لأنهم علموا أن العصا تحولت حقيقة إلى ثعبان وليس ذلك تمويهاً أو خداعاً كما يصنعون.

- إنكارهم لبعض الأحاديث الصحيحة تأييداً لما ذهبوا إليه.
- إنكارهم لبعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الكونية وإن النبي لا معجزة له إلا القرآن الكريم.
- موقف العلماء حول التفسير العلمي فمنهم من أجازه مطلقاً، ومنهم من أجازه بشروط، ومنهم من منعه.

أولاً: المجيزون له مطلقاً ومنهم:

١. الإمام أبو حامد الغزالي في كتابيه:

أ) إحياء علوم الدين.

ب) الجواهر.

---

٣) تفسير المنار: ج٥، ص١٤٥، ١٤٦.
٤) الأعراف: ١١٦.

فذكر الإمام الغزالي في كتابيه إحياء علوم الدين أن القرآن الكريم يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم.(١)

وبسط القول في كتابه الجواهر، فوضح أن جميع العلوم مأخوذة من القرآن، كالطب والنجوم، والتشريح، ..... إلخ.(٢)

٢. السيوطي.

٣. ابن أبي الفضل المرسي.

واستدل هؤلاء العلماء على جواز التفسير العلمي بقوله تعالى:

"ما فرطنا في الكتاب من شيء".(٣)

وقوله تعالى:

"ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين".(٤)

إضافة إلى ذلك ما أضافه المجيزون لهذا النوع من التفسير من أن القرآن لم ينزل للعرب وحدهم حتى يكون إعجازه في بلاغته فقط لكنه نزل للعالمين أي للبشر جميعاً فإذا لم يفهم العجم بلاغة القرآن فيمكن لهم أن يفهموا ما فيه من نواحٍ علمية ونفسية واجتماعية لكي يدركوا إعجاز القرآن الكريم. إضافة إلى ذلك أيضاً ما أخرجه الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنها ستكون فتنة) فقلت وما المخرج منها يا رسول الله؟

---

١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، ج٢، ص٥٣٤، ٥٤١، مطبعة المدني.
٢) انظر إحياء علوم الدين، ط الحلبي، ج٣، ص١٣٥.
٣) الأنعام: ٣٨.
٤) النحل: ٨٩.

قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ..... إلخ.[١]

فأما الإمام الشاطبي فتمرد على ذلك فقال:

"فأما الآيات: فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكلف والتعبد أو المراد بالكتاب في قوله تعالى:

"ما فرطنا في الكتاب من شيء".[٢]

اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية وأما فواتح السور ..... فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن العرب بها عهداً، تعدد الجُمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب، حسبما ذكره أصحاب السير، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، وغير ذلك. وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يدعه أحد ممن تقدم، فلا دليل فيها على ما ادعوا، وما يُنقل عنن علي أو غيره في هذا لا يثبت، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن يُذكر فيه ما يقتضيه، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يُضاف علمه إلى العرب خاصة، فيه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه وتقول على الله ورسوله فيه، والله أعلم وبه التوفيق.[٣]

وإنني كباحثة لم أكتف بمجرد ذكر الإمام الشاطبي رفضه لمن يقولون بالتفسير العلمي المطلق وإبطال أدلتهم في هذه الآيات التي استشهدوا بها فقد رجعت إلى كتب التفاسير ووجدت أن تفسير قوله تعالى:

---

١) الحديث رواه الترمذي في ثواب القرآن باب ما جاء في فضل القرآن، حديث (٢٩٠٨).
٢) الأنعام: ٣٨.
٣) الموافقات: ج٢، ص٨١ ـ ٨٢.

"ما فرطنا في الكتاب من شيء"[1]

هو (ما تركنا وما أغفلنا في القرآن شيئاً من أمر الدين يحتاج الإنسان إليه في أموره إلا بيناه وقيل أن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ. ويكون المعنى: ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً قلم نكتبه. وإن وجود هذه الخلائق بهذا النظام وشمولها بهذا التدبير، وإحصاءها في علم الله ثم حشرها إلى ربها في نهاية المطاف. أي ما ترك الله شيئاً خلقه بدون تدبير يشمله، وعلم يحصيه).[2]

"ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء".[3]

فيوضح أن القرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم حُجة وتبياناً فلا حجة بعده لمحتجٍ، ولا عذر معه لمعتذر.

فقد جاء القرآن الكريم شافياً بليغاً لكل ما يحتاج إليه من أمور الدين فلا حُجة لهم ولا معذرة.[4]

ولهذا يتضح لنا أن رد الإمام الشاطبي صحيح على هؤلاء الذين استدلوا بهاتين الآيتين على جواز التفسير العلمي المطلق.

ثانياً: المجيزون للتفسير العلمي بشروط:

أما المجيزون للتفسير العلمي بشروط فقد وقفوا موقفاً وسطاً حيث إنهم لم يقولوا بالإجازة مطلقاً ولا بالمنع مطلقاً **ولكن قيدوا ذلك القبول أو المنع بشروط:**

---

٤) الأنعام: ٣٨.
١) انظر ظلال القرآن: سيد قطب، طبعة دار الشروق، ج٢، ص١٠٨.
٢) النحل: ٨٩.
٣) انظر: ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٨٨.

إنه إذا كان تفسير القرآن بشيء من العلم أو على أساس علمي بعيد عن الظن والتخمين فهو مقبول لديهم طالما أنه يقوم على نظريات ثابتة وإن قام على مجرد الظن والتخمين فهو مرفوض لديهم، ويشير إلى ذلك الدكتور/ إبراهيم موسى في كتابه "فيض القدير"، حيث يقول:

وقد نبه إلى هذا الأستاذ أحمد الغمراوي في مجلة الرسالة الأعداد ٥، ٧، ١٤٧ فقال يجب أن ننبه إلى أمرين هامين:

الأمر الأول: أنه لا ينبغي في فهم القرآن أن يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا كانت القرائن تمنع عن حقيقة اللفظ وتحمله على مجازه لأن مخالفة هذه القاعدة الأصلية أدت إلى كثير من الخلط في التفسير.

الأمر الثاني: تفسير كونيات القرآن باليقين الثابت من العلم لا بالنظريات والفروض لأن الحقائق هي سبيل التفسير الحق، وهي كلمات الله الكونية، ينبغي ان تفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية. أما الحدسيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للإبطال في أي وقت.[١]

ثالثاً: المانعون للتفسير العلمي:

وننتقل بعد ذلك إلى المانعين للتفسير العلمي وعلى رأسهم الإمام الشاطبي في كتابه "الموافقات" حيث يوضح لنا أن العرب أنفسهم لم ينشغلوا إلا بالعلوم التي قررها لهم القرآن الكريم وذلك كعلم الفلك فقال إنه معنى مقرر في أثناء القرآن في مواضع كثيرة كقوله تعالى:

"وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر".[٢]

وقوله:

---

١) مجلة الرسالة: الأعداد ٥، ٧، ١٤٧، الأستاذ أحمد الغمراوي.
٢) الأنعام: ٩٧

"وعلامات وبالنجم هم يهتدون".[١]

وقوله:

"والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي أن تدرسك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون".[٢]

وعلم الأنواء، ونزول المطر فعرض لما ورد في ذلك من القرآن الكريم كقوله تعالى:

"هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشيء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده".[٣]

وأيضاً قوله تعالى:

"أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون".[٤]

إلى أخر ذلك من الآيات، وذكر كذلك علم التاريخ وأخبار الأمم الماضية وورد ذلك كثيراً في القرآن الكريم:

"ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كذبت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم".[٥]

وذكر إلى جانب ذلك أيضاً إهتمام القرآن الكريم بذكر علم الطب وإن كان علم العرب به يقوم على تجارب الأميين، كقوله تعالى:

---

٣) النحل: ١٦.
٤) يس: ٣٩ ـ ٤٠.
٥) الرعد: ١٢ ـ ١٣.
٦) الواقعة: ٦٨ ـ ٦٩.
٧) آل عمران: ٤٤.

"كلوا وأشربوا ولا تسرفوا".[١]

وذكر علم البلاغة والفصاحة وذكر دليلاً على ذلك قوله تعالى:

"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً".[٢]

ومن العلوم التي وردت أيضاً في القرآن الكريم ضرب الأمثال واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى:

"ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل".[٣]

وبعد هذا العرض لما يعرفه العرب من العلوم يتوجه الإمام الشاطبي باللوم إلى كل من أضافوا للقرآن الكريم علوم الأولين والأخرين، فيقول:

(ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها، وهم العرب ينبني علمه على قواعد منها: إن كثير من الناس تجاوزوا في الدعوة على القرآن الحد، فأضافوا إليها كل علم ذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم كالهندسة، وغيرها من الرياضيات، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه، على ما تقدم لم يصح).[٤]

ثم يصحح الإمام الشاطبي رأيه ويحتج له بما عرف من السلف في نظرهم للقرآن، فيقول:

---

١) الأعراف: ٣١.
٢) الإسراء: ٨٨.
٣) الروم: ٥٨.
٤) الموافقات: ج١، ٧٩ ـ ٨٠.

(فإن السلف الصالح ــ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ــ كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وبما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء هذا المدعي سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر يبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، وألا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا، نعم تضمن علوماً من جنس علوم العرب أو ما يبنى على معهودها مما يتعجب عنه أولو الألباب، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره، وإما أن فيه ما ليس من ذلك فلا).[1]

والحق أن من يرى أراء الفريق المعارض يقتنع بها ثم يرى أراء الفريق المؤيد فيقتنع بها أكثر إذاً فلابد من نظرة معتدلة إلى هذا النوع من التفسير تخضعه لشروط وضوابط لكي نميز بين حرمة الدين وكرامة العلم. وليس لنا أن نقول إلا أن محاولة المطابقة بين القرآن الكريم والعلم تعجلاً غير مشروع ومحاولة التوفيق والاعتدال في تلمس هذا التطابق قد يخدم الجانب النفسي من المسلم المعاصر ويجدد حيوية الدين في النفوس ويخلق توازناً سعيداً بين عقل الإنسان وقلبه.[2]

موقف شيخ مدرسة الأمناء من التفسير العلمي:

يرى الشيخ أمين الخولي أن الغزالي أكثر من استوفى بيان هذا القول في عهده وذلك من خلال كتابيه إحياء علوم الدين، وجواهر القرآن حيث أنه في كتاب الإحياء يقرر أن كل ما أشكل فهمه على النظار واختلف فيه

---

١) الموافقات: ج٢، ٧٩ ـ ٨٠.
٢) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، ص٤٠١.

الخلائق في النظرية والمعقولات ففي القرآن إليه رموز، ودلالات عليه ثم يزيد بياناً وتفصيلاً في كتابه جواهر القرآن في الفصل الخامس منه كيفية انشعاب سائر العلوم مطلقاً من القرآن الكريم بعدما بين في الفصل الرابع منه كيفية انشعاب العلوم الدينية كلها منه عن تقسيمات وتفصيلات ثم يعقب الغزالي بعد ذلك بأن هذه العلوم ما عددناها وما لم نعدها، ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحرٍ واحد، من معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لا سعة له، إن البحر "لو كان مداداً لكلماته لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي".[١]

ويعقب الشيخ أمين الخولي فيقول:

"واستمرت هذه النزعة في التفسير العلمي، وأصبحت فيما يبدو وجهاً لتعليل إعجاز القرآن، أو بيان صلاحية الإسلام للحياة، وإذا كان هذا التفسير قد ظهرت في مثل محاولة الفخر الرازي ضمن تفسيره القرآن، فقد وجدت كتب بعد ذلك مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم".[٢]

ثم يعرض لنا عدد من الكتب التي إهتمت بذلك اللون من التفسير مثل كتاب "كشف الأسرار النوارنية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية لمحمد بن أحمد الإسكندراني الطبيب من أهل القرن الثالث عشر الهجري، وكتاب تبيان الأسرار الربانية في النباتات والمعادن والخواص الحيوانية له، وقد طبع الكتاب الأول سنة ١٢٩٧هـ في القاهرة، والثاني في سورية سنة ١٣٠٠هـ. ومثل رسالة عبد الله فكري باشا وزير المعارف المصرية سابقاً في مقارنة

٣) انظر: جواهر القرآن للإمام الغزالي، مطبعة كردستان العلمية بمصر، سنة ١٣٢٦هـ ص٢١ ـ ٣٤.
٤) الأعمال المختارة: أمين الخولي، ص٢٩.

بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية طبعت بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ .

كما يشير الشيخ أمين الخولي إلى أن من أساس هذه الدعوة بعض رجال الإصلاح الإسلامي المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي في كتابه "طبائع الاستبداد" ويعرض فيه لاستخراج مكتشفات حديثة من القرآن الكريم، يقول:

(إنه ورد التصريح أو التلميح بها في القرآن الكريم منذ ثلاثة عشر قرناً بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة شاهدة بأنه كلام رب، لا يعلم الغيث سواه .....).[١]

ثم يعرض أيضاً لمثال آخر وهو الأديب المصري المرحوم (مصطفى الرافعي) حيث أفرد فصلاً في كتابه عنوانه "القرآن والعلوم" يحتج فيه إلى ما قيل سابقاً من احتواء القرآن على جمل العلوم وأصولها. ويشير أيضاً إلى أكثر من جمع في هذا وأطال الشيخ طنطاوي جوهري.[٢]

ويتضح لي رأي الشيخ أمين الخولي في هذا النوع من التفسير حيث يقول:

(إذا كان الاتجاه إلى التفسير العلمي قديماً وكانت العناية به أكثر نوعاً ما في العصر المتأخر، فإن المخالفة في صحة هذا التفسير قديمة. أيضاً، اليوم أقل رواجاً عند المثقفين .....).

ثم يعرض لرأي الأصولي الأندلسي "أبو اسحاق ابن موسى الشاطبي" في كتابه الموافقات حين ينظر في حال السلف نظرة علمية يحتج

---

١) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص٢٦، ٢٨.
٢) الأعمال المختارة: أمين الخولي، ص٣٠.

بها على صحة دعواه، ويقول وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن، وبعلومه، وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه كتب أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدل على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم.(١)

والحق البين أن كتاب الدين لا يعني سلفاً من حياة الناس، ولا يكفيهم مرونته حتى يلتمسوا مقصده، ويعدوه مصدراً فيه وإماماً اتجهت إليه النوايا الطيبة من جعل الارتباط بين كتاب الله، الحقائق العلمية المختلفة، ناحية من نواحي بيان صدقه، أو إعجازه، أو صلاحيته للبقاء .....إلخ. فربما كان ضرره أكثر من نفعه، على أنه إن كان لابد لأصحاب هذه النوايا ومن لف لفهم أن يتجهوا إليه، ليدفعوا مناقضة الدين للعلم فلعله يكفي في هذا ويفي، ألا يكون في كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة، ومسايرة العلم، وخلاصاً من النقد على أنه حين يسمح بهذا القدر في سبيل إرضاء رغبات هؤلاء الطيبي النية، لا ينسى أن يذكرهم بأن التناول الفني لحقائق الكون ومشاهده، هو التناول الذي يقصد به الدين رياضة وجدانات الناس، ويوجهه لعامتهم وخاصتهم، وعلمائهم وأنصاف علمائهم بل لجهلائهم أيضاً، كما هي مهمة الدين والغاية من تلاوة كتابه بينهم جميعاً، وهذا التناول إنما يقول على المشهود من ناحية روعته في النفس، ووقعه على الحواس،

٣) انظر: الموافقات ـ الشاطبي، ج٢، ص٧٩، ٨٠.

وانفعال الناس به، لا من ناحية دقائق قوانينه، ومنضبط نواميسه في معادلات جبرية أو أرقام حسابية أو بيان جاف لخصائصه وحقائقه.[1]

ويرى الشيخ أمين الخولي أن الأهداف الفنية الوجدانية هي التي يريد الدين تحقيقها ونفع الحياة بها عن طريق التأمل المتدين، والاعتبار النفسي قبل أي شيء آخر.

ومن هنا يبدو لنا رأي الشيخ أمين الخولي في معارضة هذا اللون من التفسير.

ويؤكد على هذا بقوله:

(فخير بأصحاب هذه الرغبات الذين يبينون الصدق، أو الإعجاز أو الصلاحية لكتاب الدين بهذا النحو من التفسير العلمي، خير لهم أن يقدروا مثل هذا الاعتبار، فلا يتكلفون ما يتكلفون من ربط الكتاب بالعلم، على إنهم إن كانوا لابد فاعلين فحسبهم ــ كما تقدم ــ ألا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية، دون أن يمكن التوفيق بينه وبينها ..... وبيان هذا الأصل مما لا يسمح المقام فيه بأكثر مما قيل).[2]

ويؤكد على رأيه هذا بأن هناك نواحٍ من النظر محدثة تؤيد الرأي القديم الذي بينه الشاطبي في كيفية فهم عبارة القرآن، فيرى أنه من الخير ألا نوجه العناية إلى مثل هذا الضرب من التفسير العلمي، لأنه ليس بذي جدوى على القرآن نفسه. إن القرآن غني عن أن يعتز بمثل هذا التكلف الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة، ورياضة

---

١) الأعمال المختارة: أمين الخولي، ص٣٢.
٢) الأعمال المختارة: أمين الخولي، ص٣٣.

نفوس الناس جميعاً على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية الرياضية وما إليها.[1]

ولعل ما يؤيد رأي الشيخ أمين الخولي في موقفه من التفسير العلمي الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله حيث يقول:

"إن الإكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم في مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي كما يقول في هذا الصدد أيضاً:

(إن التفسير قسمان: أحدهما جاف مبعد عن الله وكتابه وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإعجاز من النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيراً وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني".[2]

موقف الدكتورة عائشة عبد الرحمن من التفسير العلمي:

بنت الشاطيء ذلك النبع الذي لا ينضب والعطاء الذي لا ينفذ. مازالت جهودها مستمرة تمتد من التفسير البياني إلى التفسير العلمي والذي أدت بها إلى ذلك هو أنها تريد أن توضح أن ما نسمعه من الحاجة إلى تفسير عصري ليس إلا دعوة خلابة تبعد عن ما عرفته مدرسة النبوة وبينه نبي الإسلام.

وترى أن حاجة الناس إلى تفسير عصري يتواكب مع متغيرات هذا العصر ربما يكون كلاماً منطقياً تستسيغه عقولنا إذا لم نلتفت إلى مزالقة

---

٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٣.
١) تفسير الفاتحة، طبعة المنار، سنة ١٣٤٥هـ ص٩، ١٠.

الخطرة التي تضل عقولنا وتمسخ عقيدتنا وإنه لابد من الاعتصام بإيماننا وعقولنا لكي نميز بين ذلك الخلط بين حرمة الدين وكرامة العلم.[١]

وأول ما يشغل بنت الشاطيء هو أن الدعوة إلى فهم القرآن فهماً عصرياً، يسوق أبناء هذا العصر إلى أن ينأوا عن معجزة نبي أمي بعث في قوم أمين ظناً منهم أن هذا القرآن غير صالح لزماننا ولا تقبله عقلينا العلمية لأنه في نظرهم لا يقدم لهم علوم الطب والتشريح والبيولوجيا والإلكترون والذرة، لذلك وباسم العلم وباسم العصرية يرفضون فهم القرآن كما فهمه الصحابة في عصر المبعث ومدرسة النبوة، ليفهموه فهماً آخر ينأى عن عصر النبوة إلى بدع هذا الزمان.

وتشابه الدكتورة عائشة عبد الرحمن بين هذه الدعوة إلى العلمية ودعوة سابقة في أعقاب الثورة العرابية عن طريق دعاة أجانب لم يجرؤا على التصدي إلى القرآن الكريم وأمة القرآن وعقيدة المسلمين جميعاً.[٢]

وقد قررت الباحثة الفاضلة أن تقدم كتابيها رداً على هؤلاء الذين يدعون إلى التفسير العصري وهجر اللغة العربية الفصيحة، **فمن أجل ذلك أخرجت لنا كتابيها:**

١. القرآن والتفسير العصري: نشر دار المعارف ١٩٧٠م.

٢. قراءة في وثائق البهائية: نشر مؤسسة الأهرام ١٩٨٦م.

قامت الدكتورة بنت الشاطيء في هذا الكتاب بجمع المقالات التي نشر خلاصة منها بالأهرام في شهري مارس وأبريل من عام ١٩٧٠م رداً

---

٢) انظر: القرآن والتفسير العصري، د. عائشة عبد الرحمن، ص٥.
٣) انظر: المرجع السابق، ص١٠، ١٢.

على ما نشر في مجلة (صباح الخير) من مقالات بعنوان (محاولة تفسير عصري للقرآن) للدكتور "مصطفى محمود"، وكان قد نشر في مجلة (صباح الخير) في ديسمبر ١٩٦٩م، وأوائل سنة ١٩٧٠م عدة مقالات بعنوان (تفسير عصري للقرآن)، وقد قوبلت هذه المقالات بالعديد من الاعتراضات التي وجهت إليه بسبب هذا التفسير فقام بتغيير العنوان ووضعها في كتاب بعنوان (القرآن: محاولة لفهم عصري) ظناً منه أنه بمجرد تغيير العنوان سيعفي نفسه من هذه الاعتراضات، وقد جاء كتاب (القرآن والتفسير العصري) للدكتورة عائشة عبد الرحمن مكوناً من[١]: مقدمة، وقسمين رئيسيين، وخاتمة بعنوان اللهم فاشهد، فتريد الدكتورة بنت الشاطيء بهذه المحاولة أن تضع بعض الحدود الفاصلة بين ما يباح وما لا يباح من تفسير القرآن الكريم.

وهي ترى أن كل إنسان من حقه أن يفهم القرآن الكريم لنفسه، وليس له أدنى حق في تفسيره إلا لذوي الخبرة والدراية، فكل إنسان عند قراءته للقرآن الكريم فإنه يفهمه بقدر استطاعته وفي حدود معارفه وإدراكه "وما كان عطاء ربك محظوراً".[٢]

وقد بينت الباحثة الدكتورة بنت الشاطيء في المقدمة أن الدعوة إلى تفسير عصري للقرآن يستجيب للتقدم العلمي، ويتابع ما يستحدثه إنسان هذا العصر تبدو في ظاهرها منطقية إذا لم نلتفت إلى مزالقها الخطرة التي تضل عقولنا وتمسخ عقيدتنا. ومن ضمن هذه المزالق الخطرة التي تضل أبناء هذا الزمان أن القرآن لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والفلك وأسرار البيولوجيا

---

١) انظر: القرآن والتفسير العصري، ص٧، ٨.
٢) الإسراء: ٢٠.

والذرة والإلكترون .....إلخ، فبذلك لا يكون صالح لزماننا ولا جدير بأن تستسيغه عقولنا.[1]

ونجدها أيضاً تشير إلى هذا الدمج بين الدعوة إلى التفسير العصري وبين دعوة هجر اللغة العربية لغة القرآن الكريم هذه الدعوة التي بشر بها في أعقاب الثورة العرابية دعاة أجانب لم يستطيعوا بل لم يجرؤا على التصدي إلى القرآن الكريم، فاتجهوا إلى لغته وتصدت الأمة كلها لمواجهة هذه الدعوة الأجنبية بالتحدي والرفض. ولكن جاء سلامة موسى ليحمل لواء هذا الدعوة مرة أخرى.

ولم تجد هذه الدعوة إلى نبذ لغة القرآن صدى لها، واقتصرت محاولتهم على تطوير معجم لغتنا وأساليبها البدوية واشتدت حملتهم على حماة الفصحى وهي لغة القرآن الكريم مصورين لنا أننا سندخل سباق العصر العلمي.

أما القسم الثاني من كتاب (القرآن والتفسير العصري) للدكتورة بنت الشاطيء فيحمل عنوان: "بين الدراسة القرآنية والتفسير العصري"، ذكرت فيه أنه في سنة ١٩٦٩م ظهر كتابها (مقال في الإنسان: دراسة قرآنية)، وبعدها مباشرة ظهرت مقالات للمفسر العصري في مجلة صباح الخير ثم بعد ذلك كتاب مطبوع بعنوان: (القرآن محاولة لتفسير عصري).

ولاحظت ما بين الكتابين من صلة مع التفاوت بين الدراسة القرآنية التي تخضع لأدق الضوابط، وتفسير عصري يهم في كل وادٍ ولا يضبطه ضابط، فقامت بالمقارنة بينهما من خلال المنهج والموضوع.[2]

---

٣) انظر: القرآن والتفسير العصري، ص٧.
١) انظر: القرآن والتفسير العصري، ص١٠٧.

والدكتورة عائشة عبد الرحمن لم تمانع كل ما يتصل بالتفسير العلمي ولكنها ترفض فقط ما لم يخضع منه لشروطٍ وضوابط.

وبالجملة فهي ترفض ذلك النوع من التفسير الذي يعمد إلى المغالاة والإفراط، فقد قامت بالرد على ما قدمه الدكتور مصطفى محمود في تفسيره، كما ردت أيضاً على ما قدمه "رشاد خليفة" في تفسيره للعدد البهائي "تسعة عشر" والذي تأثر به الدكتور مصطفى محمود في كتابه "من أسرار القرآن".(١)

فهذه هي الدكتورة بنت الشاطيء التي أقامت دعوتها على مفسري التفسير العصري قاصدة من وراء هذا الدفاع عن القرآن الكريم والحفاظ على حرمته وقدسيته.

ولذا فإنني مأميأميل إلى النظرة المعتدلة التي مال إليها كثير من المفسرين والباحثين في تفسيرهم للقرآن الكريم، وبذلك يصبح أساساً لتحرير الفكر الإنساني وحافزاً للنهضة الشاملة والتقدم الموعود.

وإن محاولة المطابقة بين القرآن الكريم والعلم تعجلاً غير مشروع ومحاولة التوفيق والاعتدال في تلمس هذا التطابق قد يخدم الجانب النفسي من المسلم المعاصر، ويجدد من حيوية الدين في النفوس ويخلق توازناً سعيداً بين عقل الإنسان وقلبه.(٢)

---

٢) انظر: التفسير البياني في مواجهة التفسير العلمي للقرآن، هامش ص٦٥.
٣) انظر: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، ص٤٠١.